

## الوظائف الظاهرة والكامنة للسلوك الديني للسلفيات وسط الأحياء الجامعية

د/فتيحة طويل

جامعة بسكرة

## Abstract :

this study tries to analyse the religious behaviour and explain its functions in daily life of Advances in camps in university from sociological side in order to understand the religious practices in reality , and go farther to the reasons that Advances give to their actions and try to explain the way they act to manage the impression on their actions , supposing that there are specific functions throught times and spaces which satisfy uncovered needs every body can note and expect , and show a part of Advances performance which act in an orderly way throuht a stable general way to give a clear image to those who wach their performance as Erving Goffman says , and they play important functional role in social solidarity as Emile Durkheim says .and other unconscious and unexpected covered needs contains intellectual shape or typical image as Collins says which makes alienation of human and transform the values from force helps him to a force workes against him . Its uses as interpreted and practised in daily life will be positive or negative and its religious interpretations will be different and contradictory

**key words :** The outward and inward functions - salafism - religious behaviour

## الملخص:

تحاول هذه الدراسة العمل على تحليل السلوك الديني وتفسير وظائفه في الحياة اليومية للسلفيات وسط الأحياء الجامعية من منظور سوسيولوجي، بهدف الفهم المعمق للممارسات الدينية في الواقع، وإمطة اللثام عنها، والذهاب إلى ما وراء الأسباب التي تعطيها السلفيات لأفعالهن، وتوضيح الطريقة التي يعملن بها لإدارة الانطباع لأفعالهن. مفترضين وجود وظائف محددة عبر الأمكنة والأزمنة تلبي حاجات ظاهرة، يلاحظها الناس ويتوقعونها، وتبرز جزء من أداء السلفيات الذي يعمل بصورة منظمة ضمن طريقة عامة وثابتة من أجل تعريف الموقف لأولئك الذين يشاهدون الأداء، كما يقول جوفمان Goffman، كما تؤدي دورا وظيفيا مهما في تعزيز التماسك والتضامن الاجتماعي، كما يؤكد دوركايم Durkheim. وحاجات خفية أخرى لا تكون مدركة ومقصودة تحتوي على القلبية الفكرية أو الصورة النمطية كما يقول كولينز Collins ، فتؤدي إلى اغتراب الإنسان وتحول القيم من قوة في خدمته إلى قوة فوق إرادته وضده. لتكون توظيفاته كما تفسر وتقاس وتمارس في الحياة اليومية ايجابية أو سلبية، وتكون تأويلاتها الدينية متنوعة بل متناقضة.

**الكلمات المفتاحية:** الوظائف الظاهرة والكامنة-السلفية- السلوك الديني...

## مقدمة:

تعتبر ظاهرة التدين ظاهرة اجتماعية تخضع لقوانين دراسة الظاهرة الاجتماعية، كونها إنسانية وموضوعية ومتغيرة بتغير الواقع. تنشأ في الحياة المعيشية وتمارس توظيفات إيجابية أو سلبية، و تقوم بوظائف محددة وتلبي حاجات ظاهرة وخفية، وكثيرا ما تكون التأويلات الدينية متنوعة بل متناقضة بين القول و الفعل، والظاهر والباطن، والعام والخاص، والرسمي المعلن والشعبي الخفي... وغيرها من السلوكيات الدينية البشرية في تعاملها مع الواقع، والتي تحتاج إلى تحليل نتائجها أي وظائفها المختلفة، لا سيما عند الجماعة السلفية التي تنتمي إلى أصحاب القرون الأولى من صحابة النبي والتابعين وتابعي التابعين، وأئمة الإسلام كالأئمة الأربعة، وسائر أصحاب السنن كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

إذا سنركز في هذه الدراسة الميدانية، على تحليل الحياة الدينية للسلفيات وسط الأحياء الجامعية، بمدينة (س ، ب) من منظور علم الاجتماع، والوقوف على الوظائف الظاهرة والكامنة للسلوك الديني لهذه الجماعة، كما يطرحها **روبرت ميرتون Robert Merton** ضمن تحليلاته الوظيفية لإبراز العلاقة المتبادلة بين البناءات والأنساق الاجتماعية، وبين الوظائف الظاهرة والكامنة كما يبينها **Wallace , wolf**<sup>(1)</sup> مستعينين بالملاحظة بالمشاركة بهدف الفهم المعمق للممارسات الدينية في الواقع، وإمطة اللثام عنها، والذهاب إلى ما وراء الأسباب التي تعطيها السلفيات لأفعالهن، وتوضيح الطريقة التي يعملن بها لإدارة الانطباع لأفعالهن . مفترضين وجود وظائف محددة عبر الأمكنة والأزمنة تلبي حاجات ظاهرة يلاحظها الناس ويتوقعونها، وتبرز جزء من أداء السلفيات الذي يعمل بصورة منظمة ضمن طريقة عامة وثابتة من أجل تعريف الموقف لأولئك الذين يشاهدون الأداء، كما يقول **جوفمان Goffman**، كما تؤدي دورا وظيفيا مهما في تعزيز التماسك والتضامن الاجتماعي، كما يؤكد **دوركايم Durkheim**. وحاجات خفية أخرى لا تكون مدركة ومقصودة، تحتوي على القلوبة الفكرية أو الصورة النمطية كما يقول **كولينز Collins** فتؤدي إلى اغتراب الإنسان وتحول القيم من قوة في خدمته إلى قوة فوق إرادته وضده. لتكون توظيفاته كما تفسر وتقاس وتمارس في الحياة اليومية ايجابية أو سلبية، وتكون تأويلاتها الدينية متنوعة بل متناقضة.

أولا- الوظائف الظاهرة والكامنة :

يعتبر مفهوم الوظائف الظاهرة والكامنة **Manifest and latent Functions** من المفاهيم التي يقوم عليها التحليل الوظيفي، عند أحد أبرز الباحثين في حقول المعرفة السوسولوجية والمعروف **روبرت ميرتون**، حيث أصبحت هذه المفاهيم تميز الاتجاه الوظيفي، وترتبط به بعدما قام ميرتون بمعالجة الغموض الذي يعتري الوظيفية، في محاولة لتقديم قائمة من المفاهيم تعرف بالدليل المنهجي **Paradigme** ، الذي يحدد للباحث ما ينبغي وما لا ينبغي أن يهتم به في دراسة الظواهر من المنظور الوظيفي، هذا المنظور الذي عمل ميرتون على إزالة اللبس الذي ارتبط به بتعريفه للوظيفية الاجتماعية بأنها " تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها، والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين أوهي نتيجة موضوعية لظاهرة اجتماعية يلمسها الأفراد والجماعات"(2) محدد بذلك فوائد وحدود الوظيفية الإجرائية في بحوث علم الاجتماع ضمن نظريته متوسطة المدى، والتي لا بد أن تكون أكثر واقعية وقابلة للتطبيق، لأن هناك مستويات مختلفة من التكامل، وعلى علماء الاجتماع أن لا يكفوا عن التساؤل والبحث الدائم ، وظيفي ولا وظيفي بالنسبة لمن؟(3)

هذه الأخيرة التي تم استقدامها من الإنثروبولوجيا، كما ظهرت في كتابات مالينوفسكي وراد لكيف براون وهو يحذر من الاستعمال الواسع لمفهوم " الوظيفية"، ويبين أن هناك مؤسسة اجتماعية يمكن أن تكون لها وظائف كامنة؛ لا شعورية مغايرة لأسبابها الواضحة مثال ذلك الحفلات التي يقيمها هنود **hopi** لديها سبب واضح هو جعل المطر ينزل، ولكن الإنثروبولوجيين يؤكدون أن هناك وظيفة أخرى كامنة وضمنية لهذه الحفلات السحرية، وهي الحفاظ على تماسك الجماعة، لهذا يجب أن نكون حذرين عند استعمالنا لمصطلح وظيفية لأن ممارسة اجتماعية قد تكون وظيفية من وجهة نظر معينة، وغير وظيفية من وجهة نظر أخرى.(4)

ولذلك يؤكد ميرتون في معالجته للعلاقة الجدلية بين النظرية والبحث الإمبريقي، إلى ضرورة التفرقة بين الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة، حيث تشير الوظائف الظاهرة إلى تلك النتائج التي يلاحظها الناس ويتوقعونها، أما الوظائف الكامنة فهي: تلك الوظائف التي لا تكون مدركة ولا مقصودة. حيث أعطى ميرتون اهتماما معينا للوظائف الكامنة للأشياء والفهم المتزايد الذي يمكن أن يحققه التحليل الوظيفي للمجتمع، من خلال إمطة اللثام عنها. مع العلم أن فكرة الوظائف الكامنة ليست جديدة بشكل تام، لقد كانت مناقشة **دوركايم**

للتماسك الاجتماعي كنتيجة للعقوبة، بمثابة تحليل للوظيفة الكامنة للعقوبة ( الوظيفة الظاهرة التوازن والعقاب)، وبصورة مماثلة فإن التحليل الوظيفي للدين بوصفه باعاً على تحقيق التكامل الاجتماعي، والذي يهتم بالوظيفة الكامنة للدين. أما ما فعله ميرتون فهو التركيز على كل من التمييز بين الوظيفة الظاهرة والكامنة ، والطريقة التي يتمتع بها تحليل الوظائف الكامنة، استبدال الأحكام الأخلاقية الساذجة للتحليل السوسيولوجي. إن هذا التمييز يجبر علماء الاجتماع للذهاب إلى ما وراء الأسباب، التي يعطيها الأفراد لأفعالهم أو لوجود الأعراف والمؤسسات، أنه يجعلهم ينظرون إلى نتائج اجتماعية أخرى، والتي تسمح لتلك الممارسات بالبقاء، وتوضيح الطريقة التي يعمل بها المجتمع، وكمثال على ثراء هذا التحليل، فإن ميرتون يستثير تحليل **فيلين Veblen** للاستهلاك الترفي ، حيث أن الوظيفة الكامنة تتمثل في تعزيز مكانة المرء في أعين العالم.<sup>(5)</sup>

كما طرح ميرتون تحليل الجماعات السياسية، وأظهر كيف أن التمييز بين الوظائف الظاهرة والكامنة، يمكن أن يساعد في تفسير طريقة عمل المؤسسات ولماذا تستمر وتزدهر. إن الوظيفة الظاهرة للجماعات السياسية، وبشكل خاص في سياق سياسات الدوائر البلدية لانتخاب الهيئة التشريعية، تبدو كتقدم شخص عن طريق الفساد، لأنها تتضمن شراء الأصوات واختراقات قانونية مماثلة، وعلى الرغم من ذلك ، ونتيجة لسياسات التقسيم إلى دوائر، حيث الجماعات السياسية راسخة ومنحدرة في علاقات الجيرة للأحياء المحلية، فإنها تعد وظيفية بامتياز بالنسبة للجماعات المحرومة، التي تحتاج إلى الشروط الأساسية للعيش كالمأوى الصحي والخدمات الطبية والتعليمية والحقوق المدنية، من المهاجرين الجدد، إنها تساعد في إضفاء صبغة إنسانية على أعمال الإنعاش وتقديم الخدمات الاجتماعية، من خلال التزويد بمعلومات حول المستشفيات والإرشاد حول المعونة القانونية، وأعمال وتجهيز الأثاث، وهكذا التقت العائلات مع بعضها، وأسقطت جزءاً من العزلة للجماعات المهاجرة. لقد ابتدأ ميرتون الفرضية بقوله: إنه رغم المعوقات الوظيفية الطافية على السطح، فإنه ينبغي على الجماعات السياسية، أن تقدم وظائف هامة لبعض الجماعات الاجتماعية؛ إذا ما أرادت أن تستمر وتبقى مؤثرة.<sup>(6)</sup>

وفي الواقع، استند أيضاً ميرتون إلى تحليلات العديد من رواد الوظيفة؛ الذين اهتموا بدراسة الظواهر الاجتماعية، من أمثال "ولارد وولر W.Waller" ودراسة للأسرة وخاصة عملية التنشئة الاجتماعية Socialization، التي تعتبر من أهم الوظائف التي تقوم بها

الأسرة للمجتمع ككل، فالأسرة تقوم بوظائف أخرى فضلا عن التنشئة الاجتماعية، مثل الإشباع العاطفي، وتأسيس الشيء من الناحية الدينية والأخلاقية، وتحقيق الرغبات والمتطلبات المادية، وغيرها من الوظائف الاجتماعية الأخرى، وهذا ما يجعلنا ننظر إلى الوظائف الاجتماعية على إنها نوع من الأدوار الوظيفية العقلانية Rallone Roles ، التي تحافظ على النوع، والنظام الأسري والأخلاقي، وتوفر الأمن والحماية، وهذه الوظائف الأخيرة تعتبر الوظائف الكامنة للأسرة كنظام اجتماعي. بالإضافة إلى ذلك ، حاول ميرتون أن يحلل مجمل الوظائف الظاهرة والكامنة لعدد من الأنساق الاجتماعية الأخرى، مثل النسق الديني والاقتصادي، علاوة على مناقشة النسق القرابي والنظام القانوني ، وغيرها من الأنساق والنظم الاجتماعية الأخرى.(7)

أكد ميرتون أهمية تحليل النتائج أي الوظائف المختلفة للعناصر الاجتماعية والثقافية، سواء أكانت هذه الوظائف ايجابية أو سلبية، واضحة أو كامنة، وسواء أكانت هذه الوظائف تتعلق بالأفراد أو الجماعات الجزئية أو البناء الاجتماعي الأكثر شمولاً أو الثقافة، وبناء على ذلك يتطلب تحليل النتائج المختلفة حساب التوازن الكلي لنتائج العناصر، أثناء تفاعلها سوباً أو لنتائج تلك العناصر على الأنساق الأكثر شمولاً، لذا ركز التحليل على الأنماط الضرورية لنتائج تفاعل العناصر الاجتماعية والثقافية فيما بينها، وعلى آثار هذه العناصر الثقافية والاجتماعية على البناء الكلي الاجتماعي، إذا ما فرضت الوقائع ذلك على البناء الاجتماع.(8)

### ثانياً- السلفية والسلوك الديني:

تمثل السلفية منهجا محدد المعالم لفهم الإسلام بالترام الكتاب والسنة، وفق فهم "سلف الأمة" وهم أصحاب القرون الأولى من صحابة النبي والتابعين وتابعي التابعين، وأئمة الإسلام كالأئمة الأربعة، وسائر أصحاب السنن كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. حيث يقول أصحابها إن " السلفية" ليست من تأسيس بشر، وإنما هي الإسلام نقياً، لأنها تتخلص في التمسك بما كان عليه النبي ( صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وهو ما يشير إليه مصطفى حلمي أستاذ الفلسفة الإسلامية بالقول: " إذا كان المسلمون يلتزمون اليوم طريقاً للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها سبيل إلا الإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي عودة بالإسلام إلا معدنه الصافي في كتاب الله وسنة رسوله". ولما كان المنهج السلفي يقوم على الإلتباع، أي

السير على منهاج الرسالة النبوية وذم الابتداع ( إدخال أمور في الدين ليس لها دليل شرعي من الكتاب والسنة)، فقد اتضح أن السلفية تقوم على عدد من القواعد الأساسية.

(1) الاستدلال بالكتاب والسنة ( الاعتماد والاستناد كلية إلى الكتاب والسنة).

(2) التمسك بفهم الصحابة للدين.

(3) تقديم النقل على العقل.

(4) رفض التأويل الكلامي.

إذ يعتمد السلفيون في مراجعهم على القرآن الكريم، السنة الصحيحة، الإجماع والقياس. كذلك لهم آباء مؤسسون للفكر السلفي أبرزهم ابن تيمية الذي ظهر في القرن السابع للهجرة وعمل على إحياء الفكر السلفي، وقام بحملة على من كان يُعتقد أنهم أهل البدع من المسلمين، ودعا إلى إحياء العقيدة ومنهج السلف من أجل تحقيق النهضة. من مؤلفاته نجد التبيان في نزول القرآن، والعقيدة الواسطية.

أما المصدر الثاني الذي يعتمد السلفيون فهو محمد بن عبد الوهاب، وهو أحد العلماء المجددين، كان له الأثر الكبير في عصره الذي عرف بسقوط الدولة العثمانية وصعود الاستعمار الغربي، من مؤلفاته كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات. هذا المصدر الذي شكل فيما بعد أهم المدارس السلفية والتي تعرف بالفكر الوهابي، ولم تحظ أي حركة إسلامية معاصرة بالدرس والتحليل والتتقيب بمثل ما حظيت به الدعوة الوهابية التي ظهرت في الجزيرة العربية منذ ثلاثة قرون. وما كانت هذه الحركة لتكون لو لم يكن الواقع الفقهي أساسا في حاجة إليها، ذلك أن الجزيرة العربية كانت مقسمة إلى مناطق نفوذ قبلي متنوعة اقتصاديا وثقافيا وسياسيا وحتى طائفيا، ويكاد البعض من المطلعين يجزم أن الجزيرة كانت تمر بمرحلة ثقافية متخلفة جدا، وغارقة في دروب الخرافات والأساطير والشرك وحتى الوثنية، لهذا تبدو دعوة محمد بن عبد الوهاب مطلبا ملحا، كما يعتبر الفقهاء والعلماء والمؤرخين، والمحدثين على اختلاف مشاربهم وآرائهم وتوجهاتهم الأيديولوجية والسياسية، أن كتاب " التوحيد " هو أهم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الإطلاق، فالدعوة، إذا، جاءت ردا على واقع اجتماعي بات أبعد ما يكون عن العقيدة وأصولها، التي اختلطت مناسكها بالبدع إلى حد الشرك والوثنية، وليس ردا على أسباب سياسية أو اقتصادية أو حتى اجتماعية.<sup>(9)</sup>

الأمر الذي يتطلب الوقوف على السلوك الديني في المجتمع العربي المعاصر، وتحليله بالاعتماد على المنهج الدينامي مما يستدعي على عكس ما يستدعيه المنهج السكوني، ألا نكتفي بتحليل النصوص المجردة خارج سياقها الاجتماعي التاريخي، وبحد ذاتها ويمعزل عما تعني للمؤمنين، كل من موقعه في البني الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فنشدد على المبادئ التالية:

\* "ينبثق الدين من واقع اجتماعي-اقتصادي-سياسي-تاريخي شديد التعقيد وينتطور بتطور هذا الواقع.

\* يتصل الدين بالمؤسسات والبني الاجتماعية الأخرى ( العائلة والطبقات الاجتماعية والمؤسسة السياسية وغيرها) اتصالا عضويا وتداخليا وتفاعليا فيكون فاعلا منفعلا، مغيرا متغيرا في آن واحد.

\* يقوم الدين بوظائف محددة ويلبي حاجات ظاهرة وخفية، وقد تكون توظيفاته - كما يفسر ويعاش ويمارس في الحياة اليومية- إيجابية أو سلبية، وكثيرا ما تكون التأويلات الدينية متنوعة بل متناقضة.

\* كثيرا ما يتحول الدين من طاقة روحية ثورية في مرحلة التكوين الأولى إلى مؤسسات ونظم وطبقات وطوائف في المراحل التاريخية التالية.

\* تحصل الانقسامات والنزاعات الدينية داخل الدين الواحد، وبين الأديان المختلفة ليس بسبب التنوع في المعتقدات بحد ذاتها، بل بسبب التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

\* قد يستخدم الدين من قبل الأنظمة السائدة في تثبيت شرعيتها وهيمنتها، أو من قبل القوى المعارضة لتحريض وإثارة السخط ضد النظام القائم، أو من قبل الطبقات والجماعات العاجزة المحرومة لليأس، بحيث تستمد منه العزاء والمصالحة مع أوضاعها التي تحيلها إلى كائنات ضعيفة معرضة للاضطهاد والقمع.

\* تنشأ في الحياة المعيشية فجوات عميقة بين القول و الفعل، والظاهر والباطن والعام والخاص، والرسمي المعلن والشعبي الخفي، فيعمم الرياء واليأس والاضطهاد والشك المتبادل والإحساس بالاغتراب، فيكون التفكك الاجتماعي والسياسي.

\* ليس بالإمكان استعادة الماضي مهما كان ذلك مستحبا، وذلك لأن القيم والأفكار والمعتقدات تنبثق من واقع معين فرضها في الخارج على واقع مخالف للواقع الذي نشأت فيه من دون تطويرها والتخلي عن بعضها.

\* لا يقتصر اغتراب الإنسان عن المجتمع والمؤسسات والجماعات، بل قد يغترب المؤمن في الدين وعنه عندما يصبح عاجزا تجاه المؤسسة والقوى الدينية النخبوية، التي تجرده من قدراته الإبداعية، وتسيطر أو تتعالى عليه وتغتني على حسابه، فبقدره هو في صلب وجوده الروحي بقدر ما تعنيه هي ماديا. هذا ما يحدث تماما عندما تسود الطقوسية والتفسيرات أو التطبيقات الحرفية في الممارسات الدينية، فتتحول القيم من قوة في خدمته إلى قوة فوق إرادته وضده. وفي مثل هذا الواقع المغترب للإنسان، تعجز الحركات الدينية المتشددة عن العمل على تجاوز الأوضاع القائمة والتحرر منها.<sup>(10)</sup>

حيث سنركز على هذه المبادئ والجوانب الدينية وغيرها، مهتمين بتفسيرات النص وتوظيفاته في الحياة اليومية ومواجهة أزمتها، لذا نركز هنا على السلوك البشري في التعامل مع الواقع، وفي هذا السياق ندرس الدين وعلاقته بالمجتمع. إذا سناحاول تحليل الحياة الدينية للسلفيات وسط الأحياء الجامعية من منظور علم الاجتماع، خاصة عند روبرت ميرتون معرجين حسب ما تقتضيه الدراسة على المقاربات السوسيولوجية التي تأثرت بقضية الدين تأثرا كبيرا بالأراء التي طرحها ثلاثة من المفكرين الاجتماعيين هم: ماركس، ودركهايم وفيرر واعتقاد هؤلاء الثلاثة أن الدين يمثل واقعا موهوما ومضللا، رغم أن له تأثيرا بالغ الأهمية على حياة المجتمعات، واعتقد هؤلاء أن العالم الآخر الذي يصوره الدين هو، آخر الأمر عالمنا الواقعي الراهن مجسدا في الرموز الدينية.

ويحتوي الدين، في نظر ماركس، على عنصر أيديولوجي، لأنه يبرز أوضاع التفاوت المجتمعي في مجالات الثروة والسلطة، ويؤدي الدين، في رأي دوركهايم، دورا وظيفيا مهما في تعزيز التماسك والتضامن الاجتماعيين، وبخاصة في تشديده على ضرورة النقاء الجماعة بصورة دورية والقيم التي يشتركون فيها. أما فيرر، فيؤكد على أهمية الدور الذي يقوم به الدين في إحداث التغير الاجتماعي، ولا سيما في تنمية النظام الرأسمالي في الغرب.<sup>(11)</sup>

ثالثا - الوظائف الظاهرة والكامنة للسلوك الديني للسلفيات وسط الأحياء الجامعية.

#### 1. الوظائف الظاهرة والكامنة في اللباس السلفي:

أول ما يظهر عند السلفيات هو لباسهن، وهو في الحقيقة أحد التعبيرات الثقافية المجتمعية لضبط سلوكهن الديني، بناء لمرجع شرعي صريح ووحيد الجانب، يستند على فهم منهج سلف الأمة، وبمجرد انتمائهن إليه يحاولن أن لا يخفين ذلك بل يعلنهن، وفي إعلانهن تحد للنسق الاجتماعي والثقافي السائد، حيث أن طريقة لباسهن تمنحهن القدرة على البروز والتميز ولفت انتباه الآخر، فاللباس المتميز والمعروف "بالنقاب والبرقع" والذي يعتبر لدى السلفيين من باب الفرائض، يمكن صاحبته من الإحساس بإنجاز هوية مختلفة تراها في ردود فعل الآخرين، وهو ما يجعلهن في وضعية حدودية تميزها عن المجتمع الذي تعيش فيه وعن المجتمع الرمزي الذي تستبطنه في داخلها. كما يمنحها هذا التميز سلطة معنوية ورمزية، وهو ما نجده عند **بيار بورديو Pierre Bourdieu**، ونعتبره كوظائف خفية فهذا الفعل لا يمكن أن نفهمه اليوم إلا من خلال لونه الأسود الذي يطمس ذات المرأة، وذلك للأبعاد الرمزية والنفسية التي يدل عليها اللون الأسود في جميع الحضارات الإنسانية تقريبا إذ لا يمكن أن يفهم إلا من باب الرفض الرمزي للمرأة، وبخاصة جسدها بداية من ملامح وجهها التي تمثل أولى قنوات التواصل. فإخفاء الوجه يعني انعدام التواصل وبالتالي إلغاء الذات، وهذا من باب الالتزام بالعقيدة.

ولكن ما تخفيه السلفيات لتبرز الملاحظة بالمشاركة، أن سلوك السلفيات قائم كذلك على المرجعية الثقافية للمتفاعل معه، و يظهر ذلك في الحقيقة على مستوى تحليل سلوكهن الذي يقوم على أساس عملية قطيعة، وإعادة بناء تضم صيرورة تعيد تركيب الهوية الشخصية، ضمن طقوس عبور تظهرها الواجهة الخلفية، والخفية القائمة على نسق قيمي ينتمي لسياق الحداثة الليبرالية المرفوضة من قبل السلفية، ولكنها تتيح لبعض السلفيات وليس كلهن، إمكانية التعبير عن ذاتهن بكل حرية على مستوى اللباس أو السلوك الفردي، ضمن المنطقة الخلفية التي لا تظهر إلا في غرفهن وتحت النقاب و البرقع، بارترداء سراويل الجينز الضيقة والتترات القصيرة جدا والعارية و وضع مساحيق التجميل، بل وتقيم علاقات مع السلفيين خارج إطار الزواج... محققة بذلك القيم المرغوب فيها والمكبوتة بداخلها كنوع من القوة أو إرادة الفعل التي تمارس خارج المساحة المؤسسية للتصرف المسموح به، والتي لا تتطابق مع معايير المجتمع السلفي، لأنه ليس بالضرورة أن تتطابق المعايير المنظمة للمجتمع مع معايير الفاعلة من وجهة نظر أفراد معينين، كما يؤكد على ذلك ميرتون.<sup>(12)</sup>

وفق هذا المعطى، يصبح السلوك الديني هو ما يهدد الوحدة الشخصية للسلفيات، التي ستبنى على الازدواجية والتناقض المعيارى، بين قيم السلف الصالح والمجتمع الحديث، الذي يمنح نوعا من التسامح والتساهل الأخلاقي للفاعلين. وهذا بفعل ظهور الإسلام المعولم الذي صار خاضعا لمنطق الفردنة ومقتضيات السوق الليبرالية، التي تتشكل في خضمها سوق دينية، وتظهر أشكال تدين بحسب الطلب، كما يرى عالم الاجتماع الفرنسي "أوليفييه روا" Olivier Roy. (13)

وبهذا فإن السلفية التي تحاول أن تبرز من خلال لباسها المتميز، تسعى من خلال ذلك ليس فقط إلى تقديم صورة عن نفسها عبر هذا المظهر، وإنما أيضا تبحث عبر ذلك عن صورة لنفسها في مرآة الآخر. الذي رفضت قيمه وثقافة مجتمعه، لأنه في رأيها خارج عن الملة. ليتأكد لنا في هذا السياق أننا إزاء عملية إعادة تشكيل لمعنى الديني، الذي أصبح يتداخل مع الاستهلاكي، والمتعي، و العابر. إذ بتنا إزاء تدين استهلاكي يبحث عبره الفرد عن توافقات بين أنساق قيمية تنهل من مرجعيات مختلفة ومتعددة.

## 2. الوظائف الظاهرة والكامنة للنسق الثقافي والشخصي للسلفية:

من المعروف أن الرصيد المعرفي والفكري الذي يميز أغلب السلفيات، يظهر أنه يعتمد على القرآن والسنة الصحيحة والحديث والإجماع والقياس، لكن ما لا يظهر أن أغلب معارفهن متأتية من الفضائيات وبعض خطابات الأئمة في السعودية، وهي جميعها غير مبنية على أدوات التحليل والتأويل والنقد كما تبينه دراسة" (فؤاد غريالي، 2013) ودراسة (حافظ بن عمر، 2013). فهم جاهلون ( ليس بالمعنى القيمي للكلمة) بالعلم الوضعي والمعرفة وعلوم العصر، فبالنسبة إليهن العلم الوضعي إدراك لحقائق مزيفة أما الحقيقية المطلقة فهي حقيقة الإيمان. وهكذا يصير العلم الديني بديلا من العلم الوضعي، حيث تعيش أغلب السلفيات تجارب وجودية داخلية تخرجهم من الذات، فيندمجن في الصور الرمزية التي يستتبطنها على السلف الصالح، إلى درجة الذوبان والاغتراب فيه، وفي المقابل ينفصلن عن المجتمع المرجعي، باعتباره خارجا عن شرع الله ورسوله، كواجهة يجدن فيها إدارة الانطباع في الحياة اليومية.

ولكن ضمن المنطقة الخلفية التي تبرز الوظائف الخفية، تنزع بعض السلفيات شخصيتها المسرحية، ولا تنحصر في إدارة الانطباع لتكون ذاتها الحقيقية، وتلبي احتياجاتها الشخصية ضمن صيرورة تقود السلفية إلى تشكيل انعكاسية حول ذاتها، ارتبطت بصورة

عامة بمفردات المستقبل وخلق فضاء خاص بها، ألا وهو حياتها الفردية كما يرى **ألان تورين Alain Touraine**، إذ تعمل بعض السلفيات؛ كما بينته الدراسة على إقناع الآخر بضرورة الانقطاع عن الدراسة، بحجة أن العلم الوضعي من علم نفس وأدب عربي.. ليس بالعلم الديني الشرعي... وذلك لتظهر طقوس التفاعل والقبولية الفكرية، كما يقول: "كولينز" لتمثل ولتكون بجانب القرن السلفي، الذي تحب وتتواصل معه عبر كراريس عادية، تظهر أنها تحمل دروس مقياس معين، في حين تخفي كلمات ليست كالكلمات، كما تقول **ماجدة الرومي**، وهذا خوفا من معاناة الوصم الاجتماعي، إذا ما ظهرت هذه الواجهة الخلفية وأصبحت الواجهة الأمامية.

والغريب في الأمر بعد فشل هذه العلاقات الغرامية التي تمثل انحراف عن المعايير السلفية بحسب ميرتون، ويواجهن حالة عدم الثبات الاجتماعي والاقتصادي، في تكفن عندئذ على ذواتهن ليشكلن النمط الطقوسي أحد أنماط التكيف الاجتماعي في نظرية الانحراف عند ميرتون، له معايير وقيمه الخاصة التي تجعل السلفيات يقمن حدودية رمزية، بينهن وبين بقية الفئات الاجتماعية، وترسم تلك الحدودية عبر مسرحه للذات في الفضاء العمومي، بالعودة للعلم الوضعي الذي رفضه ولمقاعد الدراسة، لأنه لم يعد لهن خيار، وليعلن بذلك على التكيف الاجتماعي ضمن معايير الجماعة السلفية، ولإدارة الانطباع من جديد في الحياة اليومية.

### 3. الوظائف الظاهرة والكامنة للانتماء والولاء السلفي:

يظهر سلوك الانتماء إلى الجماعة السلفية، من خلال دخول السلفيات ضمن الجماعة الداخلية أو المرجعية (السلفية) في علاقة سلام وتعاون وتكامل وتضامن فيما بينهن لدرجة الولاء للجماعة الداخلية، مما يعني الخضوع والتضحية من أجلها، وفي الوقت نفسه يعني إتحاد ضد الآخر أو ما يسمى سوسيولوجيا الجماعة الخارجية التي يميزها ميرتون عن الجماعة المرجعية، أو بمعنى الانقسامية ومعنى العصية لدى ابن خلدون، أو بمعنى السلطة الرمزية لدى بيار بورديو، الذي يعتبر أن هذه السلطة الرمزية لا يمكن أن تحقق تأثيرها المفترض، إلا من خلال التعاون الذي يجب أن تتصف به أغلبية الناس المعنيين بها. ويقول بورديو في هذا الصدد إن السلطة الرمزية هي سلطة لا مرئية ولا يمكن أن تمارس إلا بتواطؤ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها، بل ويمارسونها.<sup>(14)</sup>

حيث يخفين رفضهن للتعامل مع الآخر، إذ تتصف علاقتهن بالجماعات الخارجية بأنها علاقة هي نوع من فك الارتباط ووضع حدود لا يتجاوزها الآخر، لأنه في اعتقاد البعض منهن لا يمكن قبول الآخر، لأن في ذلك نفيا للذات، باستثناء الحالات التي تتفق فيها بعض السلفيات مع مجموعات خارجية لتحسين العلاقة بينها، وهو ما يجعل لهذه الفئة سلوكا يميزها عن غيرها وجب البحث فيه. لذلك نجد أن مجموعات تنتمي إلى مجتمع واحد يمكن أن تقف من الناحية الثقافية والعقائدية، على فاصل حدودي في علاقتها ببعضها ببعض، وتكون المجموعة الأقل عدد هي التي تعيش على تخوم ثقافة وقيم المجتمع الأصلي، وهي بلغة بورديو السوسولوجية "محاولة الخروج أو التمتع في فضاء حقلي جديد تبنى فيه قواعد جديدة للفعل الاجتماعي" (15)

ليتضح أن الذات المنشأة اجتماعيا لدى السلفيات قد ضعفت، بينما تنامت فعالية ذاته المنشأة روحيا وعقائديا. فإذا كانت ذاتها الأولى تملّي عليها ضرورة الاستجابة لنسق الأوامر والنواهي الاجتماعية، فإن ذاتها الثانية تملّي عليها استجابة عقائدية فكرية حتى وإن تصادمت وتنافت مع مرجعية الاجتماعية .

و السؤال الأساسي الذي يمكن أن نختم به، ألسنا جميعا نتظاهر كفنانين بعد كل ذلك؟ كما يقول جوفمان في نظرية فن المسرح .

### الهوامش:

(1).Wallace. R ,A. Wolf (1986). Contemporary Sociological Theory , N.J.Prentice, Hall, Inc, Part21,P84-85

(2). غربي علي،(2007)، علم الاجتماع والثنائيات النظرية- التقليدية والمحدثة، جامعة منتوري قسنطينة،

الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، 110.

(3). Merton (1967), ON Theoretical Sociology , New York, Free Press Paper Back,p77

(5). دبلّة عبد العالي،(2011)، مدخل إلى التحليلي السوسولوجي، القبة القديمة، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، منشورات مخبر الرسالة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، منشور رقم 2- جامعة محمد خيضر بسكرة، ص15.

(6). ورث والاس والسون وولف،(2011-2012)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تحدد آفاق النظرية الكلاسيكية، (ترجمة محمد عبد الكريم الحوراني)، ط1، الأردن، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 105.

(7). المرجع نفسه، 106-105 .

(8). عبد الله محمد عبد الرحمن،(2003)، النظرية في علم الاجتماع ، النظرية السوسولوجية المعاصرة،

الازارطة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص 50-51.

(9) أنتوني غيدنز، (2005)، علم الاجتماع، (ترجمة فايز الصباغ)، بيروت- لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ص 81.

(10) حافظ بن عمر، (صيف خريف 2013)، إثبات الهويات في سوسيولوجيا الآخر قراءة سيكو-سوسيولوجية في بروز الظاهرة السلفية في تونس، مجلة إضافات، العدد 23-24 ص 215-219.

(11) أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص 591-592.

(12) المرجع نفسه، ص 595.

(13) Merton, (1968), Social Theory and Social Structure, New York, The Free Press, p187.

(14) فؤاد غريالي، (صيف وخريف 2013)، الشباب والدين في تونس دراسة للأشكال الهوياتية الجديدة لدى الشباب التونسي، مجلة إضافات، العدد، 23-24، ص، 38.

(15) حافظ بن عمر، المرجع السابق، ص 220-224.